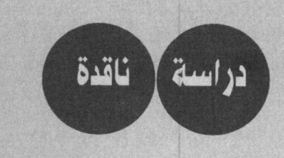
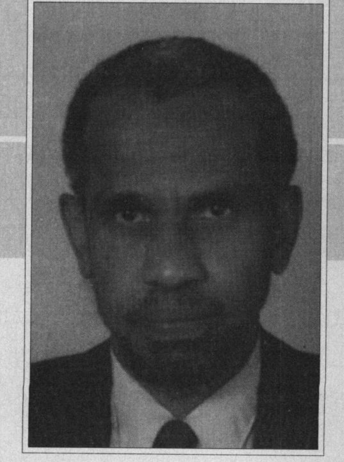


أبو فهر
محمود محمد شاكر
قضية الشعر الجاهلي
في كتاب ابن سلام

موقف أبي فهر، محمود شاكر من قضية عمر الشعر الجاهلي



بقلم: د. محمود توفيق محمد سعد*

■■ سبعون عاماً أو أكثر جَادَ بها «أبو فهر» (١٣٢٧ - ١٤١٨ هـ) من عمره لعلوم العربية والإسلام ولاسيما شعر الجاهلية.

وما إن وَلجَتْ أقدامه «الجامعة المصرية» وهو في السابعة عشرة من عمره (١٣٤٤هـ) حتى بدأت محنته مع شعر الجاهلية التي ابتلي بها، فأذكت عقله وقلبه، وزكَّته إماماً في قومه من بعد حين، فعاش من هذه المحنة التي خرج منها ملْءَ القلب والعقل.. اتخذ «أبو فهر» من شعر الجاهلية موقفاً بَيِّن المنهج والمعالم والغاية لا يتأتى لنا إيجاز القول في جميع وجوهه، فكل وجه منها لا يكاد يقوم بحقه فصل من سفر.

وليس الشعر الذي عاش له «أبو فهر» هو ذلك القول الموزون المقفى ذو المعنى، فإن أهل العلم بالشعر لا يرون في ذلك جوهر الشعر الذي هو أصح علوم العرب. ألا ترى أن «ابن سلام الجمحي» (١٣٩ - ٢٣١ هـ) قال عما رواه «ابن إسحاق» صاحب السير من كلام منظوم: «وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف» (١) نفى عنه أنه شعر، وأثبت أنه «كلام مؤلف معقود بقواف» فهو ليس خَواء من المعنى بدلالة تسميته، كلاما»، فإنه لن يكون «كلاماً» إلا إذا كان ذا معنى. فإن الدلالة الاشتقاقية لكلمة «كلام» تأبى أن يكون بغير معنى، ولو أنه قال «لفظ» أو «قول» لأمكن الظن بأنه بغير معنى. أما أنه كلام فلا.

□□□

وهو لن يكون مؤلفاً إلا إذا كان منظوماً مركبا على نحوما من أنحاء النظم والتركيب، وهو أيضا ليس خواء من الوزن والقافية، وبرغم من هذا هو ليس بشعر عنده، ومقالة «أبي عثمان الجاحظ» (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ) في البيتين اللذين استجادهما «أبو عمرو الشيباني»:

لا تحسبَنّ الموتَ موتَ البلىَ
فإنما الموتُ سُؤَالُ الرجالِ
كلاهما مَوْتٌ ولكنّ ذا
أقطعُ من ذاك لذُلّ السؤال

فقال: «وأنا أزعم أنَّ صاحبَ هذين البيتين لا يقولُ شعراً أبداً. ولولا أنْ أُدْخلَ في الحكم بعَضَ الفتك لزعمتُ أنَّ ابنه لا يقول الشعْرَ أبداً» (٢)

وهي مقالة كاشفة عن أنّ مثل هذين البيتين ليس فيهما أثَرَة من الشعر، على الرغم من علو معناهما في معيار العقل، ومما عليه من وزن وقافية، فهما بعيدان عن الشعر بعداً سحيقاً دالاً على أن قائلهما ليس له أدنى علاقة بالشعر ولن يكون في أحد من عقبه شيء منه أبداً.

ومقالة عبدالملك بن مروان للراعي النميري حين أنشده:

أخَلِيفَةَ الرَّحمن إناّ مَعْشَرٌ
حُنَفَاءُ نَسْجُدُ بُكْرَةً وأصيلا
عَربٌ نرى للّه في أمْوالنا
حَقَّ الزَّكاة مُنَزَّلاً تنْزيلا

فقال له: ليس هذا شعراً، هذا شرحُ إسلام وقراءة آية» (٣)

كل ذلك دال دلالة باهرة على أن الشعر عند أهل العلم به ليس كلاماً موزونا مقفى ذا معنى فحسب، بل جوهر الشعر قائم في غير هذا، يجليه «أبو فهر» بقوله:

«ولفظ الشعر في لسان العرب موضوع للدلالة على كل كلام شريف المعنى، نبيل المبنى، محكم اللفظ، يضبطه إيقاع متناسب الأجزاء، وينتظمه نغم ظاهر للسمع مفرط الإحكام والدّقة في تنزيل الألفاظ وجرس حروفها في مواضعها منه، لينبعث من جميعها لحن تتجاوب أصداؤه متحدرة من ظاهر لفظه ومن باطن معانيه.

وهذا اللحن المتكامل هو الذي نسميه «القصيدة»

وهذا اللحن المتكامل مقسم أيضا تقسيماً متعانق الأطراف متناظر الأوصال، تحدده قواف متشابهة البناء والألوان، متناسبة المواقع متساوية الأزمان، هذا هو الشعر» (٤)

من البيِّن أنّ «أبا فهر» جعل الشعر في لسان العربية قائماً من أربعة، يسري فيها جميعاً روح مهيمن عليها:

المعنى الشريف ـ المبنى النبيل ـ اللفظ المحكم ـ الإيقاع المتناسب الأجزاء. وينتظم هذه الأربعة روح مهيمن هو «نغم ظاهر للسمع مفرط الإحكام والدقة فى تنزيل الألفاظ وجرس حروفها فى مواضعها منه.. إلخ. والنظم الذي نفى «ابن سلام» عنه أنه شعر، وكذلك الذي أبى «أبو عثمان الجاحظ» أن يكون فيه أثارة من شعر ومثله الذي جعله عبدالملك شرح إسلام وقراءة آية إنما هو نظم خلاء من هذه الأربعة، وما ينتظمها من الروح المهيمن.

وإذا ما كان رأس هذه الأربعة عند «أبي فهر» شرف المعنى، فما الشرف؟

الشرف في كل شيء هو بلوغه ذروة صفات الكمال في النوع الذي هو من جنسه، فكل جنس أنواع، ولكل نوع صفات كمال، وما يبلغ من أفراد ذلك النوع ذروة الاتصاف بصفات كمال نوعه يكون هو الشريف.

والمعنى الشعري نوع من أنواع المعاني التي هي نتاج العقل والقلب والنفس، وهي قوى متداخلة في الإنسان، لا يتأتى الفصل بينها، وهذا النوع من المعاني: «المعنى الشعري» له صفات كما تقتضيها أحوال وملابسات عديدة، وتنحدر من روافد بسيطة ممتدة، أعظمها ما كان معينه الإنسان مبيناً عن الكون والحياة في نفسه، فإذا ما بلغ ذلك المعنى ذروة الاتصاف بصفات الكمال قيل إنه معنى شريف.

ومن أوسع وأعمق وأطول روافد شرف المعنى الشعري صدق الإحساس، ونبلُ العاطفة، وقوة التخيل وطلاقته، ونفاذُ البصيرة، والانعتاق من قيد الحس إلى رحابة الحدس، والتوحد مع الكون، ثم إحاطة العقل ونفاذه، وإحكام النظر فيما يعمل فيه، ووعي وشائج القربى بين مكونات الحياة محسوسها ومعقولها، واتقاد ذكاء ينضج أواره الفكر، ثم طبع أتيٍّ كريم، لا يخذل صاحبه فيما يقوم إليه.

تلك الروافد هي التي تغذو المعنى الشعري بالشرف حتى وإن تناول أصغر أحداث الحياة، كمثل الذي تراه في وصف عنترة ذباباً خلا له المكان، فقال:

وَخَلا الذبَابُ بهاَ فَلَيْس بَبارح
غَردا كفعْلَ الشّارب المترنم
هزجاً يَحُكّ ذراعَه بَذراعه
قدحَ المُكبّ على الزنّاد الأجذمِ (٥)

فقد بلغ «عنترة» في تصوير هذا الحدث مبلغاً قال عنه «أبو عثمان الجاحظ»:

«لو أن امرأ القيس عرضَ في هذا المعنى لعنترة لافتضح» (٦)

وهو الذي قال ما قال في البيتين اللذين أعجب بهما «أبو عمرو الشيباني» ولوأن العقل المجرد من سلطان سحر الشعر وازن بين المعنى في بيتي «عنترة» والمعنى في البيتين اللذين أعجب بهما «الشيباني» لقضى بمعياره لما أعجب بهما «الشيباني».

ويأتى من بعد شرف المعنى نبل المبنى، وكمال نجابته المنبثة عن شرف المعنى، وإذا ما كان مبنى كل كلام من إحكام العلاقات

جعل الشعر في لسان العربية قائماً من أربعة يسري فيها جميعاً روح مهيمن عليها.. المعنى الشريف.. المبنى النبيل.. اللفظ المحكم.. والإيقاع المتناسب الأجزاء.

بين عناصره، فإن تلك العلائق لينبثق إحكامها من حال المعنى وصورته فى صدر صاحبه، متى كان صاحب المعنى والمبنى محيطا بأنماط التعلق والاعتلاق فى السنَّة البيانية للسان العرب.

نبل المبنى ونجابته ليس لك حيث تسمع بأذنك، بل حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رويتك، وتراجع عقلك، وتستنجد في الجملة فهمك (٧)

ونبل المعنى يعرض له من ثلاثة:

- المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام.

- موقع بعض المعاني والأغراض من بعض.

- استعمال بعض المعاني والأغراض مع بعض. (٨)

وكل هذا قائم فيما به شرف المعنى، ذلك أن بناء الشعر ينبثق من إحكام تحقيق شرف معناه، فنبل المبنى يقتفي فيه آثار المعاني الشريفة، ويرتب على حسب ترتيب تلك المعاني في النفس، فإذا ما تم للشاعر شرف معانيه القائمة في نفسه تبعه نبل المبنى، ولن يحتاج بعد الفراغ من تحقيق شرف المعنى إلى استئناف عمل جديد، يحقق به للمبنى نبله الذي يكون به فضل الإبانة عن شريف معانيه، فإن العلم بخصائص شرف المعنى علم بخصائص نبل المبنى

والشاعر الحق ذو الطبع الأتيِّ إنما يتصنع في إتقان تحقيق قوام الشرف لمعانيه القائمة بنفسه، فإذا ما تم له ذلك، وكانت لغته طوع إرادته لم يك في حاجة إلى التصنع في إقامة مبانيه، فإنه إذا ما ظفر بالمعنى، فالمعنى معه وإزاء ناظره (٩)

أما إحكام اللفظ فآتيه من حسن اصطفائه وانتخابه، حتى لا يكون غيره أحق بما هو فيه منه، وحتى لا يكون حاله ووصفه الذى عليه أولى به منه، وهذا إنما يأتي الشاعر من حسن بصره بالكلام، وما يستحقه من عناصر الإبانة ومقوماته، وما لكل عنصر من خصائص الإبانة المحسوسة والمعقولة، وهذا إنما يكتسبه الشاعر من ثقافته وخبرته بمسالك إبراز ما في تلك العناصر من طاقات الإبانة الشاعرة.

وقد هُدِيَ الإمام «عبدالقاهر» إلى وجه إحكام اللفظ في الكلام البليغ وهَو بصدد الإبانة عن الطريق إلى تحقيق خصال الكلام البليغ فقال «ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه، وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً ويظهر فيه مزية»(١٠)

وعبارة «عبدالقاهر» في اختيار اللفظ في غاية النبل والنجابة ليس المقام مؤذنا بتذوقها.

ويأتي الإيقاع المتناسب الأجزاء مقوماً من مقومات شعر العربية، وهو في إبانة «أبي فهر» حقيقة شعر العربية ضابط كل المقومات الثلاثة السابقة، وهو خصوصية لشعر العربية لا يتحقق في غيرها على النحو الذي هو قائم فيه (١١)

وذلك الإيقاع المتناسب الأجزاء والمتسرب من الوزن والقافية ليس هو رافد النغم الأوحد في شعر العربية، بل ينتظمه وينتظم معه المعنى الشريف والمبنى النبيل واللفظ المحكم «نغم ظاهر للسمع، مفرط الإحكام والدقة في تنزيل الألفاظ وجرس حروفها في مواضعها منه، لينبعث من جميعها لحن تتجاوب أصداؤه متحدرة من ظاهر لفظه ومن باطن معناه»، كما يبين «أبو فهر».

فذلك التنغيم المتجاوب من جميع مقومات الشعر في لسان العربية هو آية قيام القصيدة قياماً يحقق لها وجودها الخالد في وعي الأمة على تطاول الأزمان.

ذلك هو الشعر في بديهة العربية وبديهة الناطقين بها، والذي عاش به وله «أبو فهر» من أنه علم أمة لم يكن لها علم أصح منه، ولم تبلغ في علم من علوم حياتها ما بلغته فيه من الذروة والشرف.

وذلك هو الشعر الذي نريد إلى بيان موقف «أبي فهر» منه في حقبة من حقب وجوده في لسان العربية: حقبة ما قبل الإسلام التي أطلق عليها الإسلام وصف الجاهلية، فهو وصف إسلامي لهذه الحقبة لم توصف به من قبله (١٢). ولا يراد بها جاهلية علم وخلق بل جاهلية اعتقاد، فقد كانوا ذوي مكارم، يقول النبي ﷺ: **«بعثت لأتمم صالح الأخلاق»** (١٣)

يقول أبو الوليد الباجي (ت ٤٧٤ هـ): «كانت العرب أحسن الناس أخلاقا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها..» (١٤)

وشعرهم مؤذن، في الناس بما كانوا عليه من المعالي وشريف الأخلاق، مثلما هو مؤذن في الناس أنهم المستولون على شرف الصنعة في الشعر، فكانوا أجدر الناس بأن يتحداهم القرآن ببيانه، وفي هذا التحدي آية الآيات على أنه ليس في الأرض من يضارعهم في الاستيلاء على شرف الصنعة في البيان. هذا الشعر هو الذي اتخذ «أبو فهر» منه موقفاً استغرق عمره وجهده فكان به في الناس إماما.

ولا يتأتى لي النظر - هنا - إلا في وجه واحد من موقفه، هو أول وجه يلقى المرء من قضية ذلك الشعر، بل هو وطاء لكل قول فيه، كان لأبي فهر تحقيق أذاعه في طلاب العلم وأهله في محاضرة ألقاها فى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض منذ أكثر من عشرين عاماً: موقفه من قضية عمر الشعر الجاهلي، وهي قضية متفرعة - كما يقول - عن أولية

الشعر نفسه في لسان العرب.

لكل أمة من الأمم مايميزها عن غيرها من ضروب الحضارة الحافظة لها ذكرها بين الأمم، ومن ثم «فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال.

وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزن والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها»(١٥)

قال عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم أصح منه».(١٦)

وفن الشعر وفن الكلام المبين هو الفن الأعلى، وماسواه من الفنون هي الفنون الدنيا، فالإنسان هو وحده ينبوع الفن أيا كان الفن، والتفاضل بينها بما بين الفن وأداته من صلة، وبين الأداة وينبوع الفن: الإنسان. وجليٌ أن أدوات الفنون جميعا سوى الشعر والبيان مجتلبة من خارج الإنسان، أما الشعر والبيان فمادتهما نابعة من الإنسان نفسه منذ يولد كما يقول أبو فهر.(١٧)

وفي اصطفاء العرب الشعر مخلداً لمآثرها وعلمها الأعلى توطئة لأن يكونوا هم الأحق بنزول القرآن فيهم، والأحق بشرف تحدي القرآن لهم ببيانه.

ومنطق العقل قاض بأن الأمة لا تتخذ ضربا من ضروب الحضارة تمج به ذكرها وتحفظ فيه آثارها إلا إذا ما كان هذا الضرب موروثا لهم كابرا عن كابر، وأنهم لم يمجدوا فيه طفرة وعلى غرة من الدهر.

ومقالة سيدنا «عمر» رضي الله عنه: «لم يكن لهم أصح منه» دالة على ذلك أي لم يكن لهم عن أسلافهم علم بلغهم صحيحاً كاملاً كمثل ما بلغهم الشعر.

وهذا لا ينفي عنهم سائر العلوم الأخرى، وإنما يرفع علم الشعر في التوارث والصحة والكمال الذي منه اصطفى العرب ديوان أمجادهم، فكاد الشعر يكون مولوداً بميلاد العرب، فإن آية حضارة كل أمة وديوان مجدها ليولد بميلادها، لا يكون من بعدها بأطوار.

ذلك ما يقضي به منطق العقل ومنطق التاريخ.

وجاءت مقالة أبي عثمان الجاحظ (٢٥٥ هـ):

«وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر، ومهلهل بن ربيعة.

وكتب أرسطاطاليس ومعلمه أفلاطون ثم بطليموس وديمقراطس وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور، والأحقاب قبل الأحقاب.

ويدل على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حُجْر:

إنّ بَني عَوفٍ ابْتَنَوا حَسَباً
ضَيَّعَه الدُّخْلُون إذ غَدَرُوا

أدّوا إلى جَارِهم خَفَارَتَه
ولمْ يَضعْ بالمغيبِ من نَصَرُوا

لم يَفْعَلُوا فعْلَ آلَ حَنْظَلَة
إنَّهُمْ جَيْر بئْسَ ما ائتمروا

لا حِمْيَرِيٌّ وَفيَ ولاعُدُسٌ
ولا استُ عَيْرٍ يحُلُّها الثُفُرُ

لكنْ عُوَيْر وَفى بذمّته
لا قَصَرٌ عابه ولا عَوَرُ

فانظره كمْ عُمْرُ «زرارةَ» وكَم كان بين موت «زرارة»؟ ومولد النبي ﷺ؟ فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة سنة، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام»(١٨)

فاتخذها من جاء بعده أصلا يعتمد عليه في تبيان عمر شعر العربية وأوليته (١٩)

ومقالة «أبي عثمان» قائمة من ثلاثة عناصر: **حكم وعلته ودليله.**

الحكم: «الشعر حديث الميلاد صغير السن» **والعلة:** أول من نهج سبيل الشعر امرؤ القيس، **والدليل:** شعر ذكر فيه امرؤ القيس قوماً حديثي الميلاد قريبي العهد قبل الإسلام.

وظاهر العقل يقضي أن ينسق القول على النحو التالي: امرؤ القيس أول من نهج سبيل الشعر وهو قبل الإسلام بقليل، بشعر ذكر فيه أناساً كانوا قبل الإسلام، بقليل، فالشعر إذن حديث الميلاد. هكذا يكون منطق الاستدلال، ولكن «أبا عثمان» صاغ القضية صياغة خطابية لاصياغة برهانية.

وكان لأبي فهر موقف من مقالة «أبي عثمان الجاحظ» يسبر أغوارها، أقام موقفه هذا على منهج التذوق، وتحليل كل كلام يقيم نفسه أمامه قارئاً، فالتذوق عنده هو عمود كل حضارة و«ليس قواماً للآداب والفنون وحدها، بل هو أيضا قوام لكل علم وصناعة على اختلاف بابات ذلك كله وتباين أنواعه وضروبه.

وكل حضارة نامية تريد أن تفرض وجودها وتبلغ تمام تكوينها إذا لم تستقل بتذوق حساس حاد نافذ تختص به وتنفرد لم يكن لإرادتها في فرض وجودها معنى يعقل، بل تكاد هذه الإرادة أن تكون ضرباً من التوهم والأحلام لا خير فيه، فحسن التذوق يعني سلامة العقل والنفس والقلب من الآفات، فهو لب الحضارة وقوامها، لأنه أيضا قوام الإنسان العاقل المدرك الذي تقوم به الحضارة» (٢٠)

وهذا التذوق الذي هولبُ كل حضارة وقوامها عماده التحليل السابر كل كبيرة وصغيرة والواقف على أصولها وهيئتها وموقعها وعلائقها وغايتها.

وأبو فهر يكشف لنا عن حاله في تحليل أي كلام يقوم للنظر فيه قائلا:

■■ ابتلي وهو في السابعة عشرة من عمره بمحنة الشعر الجاهلي، فأذكت عقله وقلبه.

«ألجأ إلى تحليل الألفاظ ثم الجمل تحليلا دقيقاً في خلال النص كله طال أو قصر، ثم أعيد تركيبه بعد أن يزول كل غموض يكتنف الألفاظ وكل تشقق يسري في الجمل وكل انتشار يبعثر مقاصد كاتبه على أنظارنا نحن المحدثين من أهل العربية» (٢١)

ثم يقول: «التحليل في الكلام وفي غير الكلام أمر عسير يشق على الناس، ولاسيما في زماننا، لأنه يبدأ بانتزاع شيء مجتمع له صورة ومعنى يجزئه المحلل أجزاء دقيقة، فيصير كل جزء منفرداً على حياله، ثم ينظر فيه على حياله أيضاً، ثم يبحث المحلل بعدُ عن الروابط التي تربط كل جزء بأخيه، ثم عن الروابط الأخرى التي تجعله شيئا مجتمعا له صوَرة ومعنى، وهذا عناء عسر بلا ريب، ولكنه في الحقيقة عناء لذيذ وعنت مرغوب فيه، لأنه يفضي بنا إلى غاية من الرضى والاطمئنان، وإلى الثقة بوضوح الصورة، وإلى التثبت من سلامة المعنى، وإلى التحقق من براءة الروابط من كل عيب يقدح في وضوح الصورة وفي سلامة المعنى وانتظامه جمل الكلام من أوله إلى آخره».(٢٢)

بسطت نقل هذا عن «أبي فهر» لأمرين:

الأول: أن كلامه هذا في بيان منهجه لا يتيسر لكثير من طلاب العلم الوقوف عليه في مظانه فآثرته نصا بين أيديهم لتقوم حقيقته في عقولهم ونتاجهم،

والآخر: أن تقف على أصول منهجه الذي يتذوق به مقالة «الجاحظ»

قلت إن مقالة «الجاحظ» من ثلاثة عناصر: حكم وعلة ودليل. الأولان ظاهران لا إجمال فيهما» أما الدليل فكلام «الجاحظ» متلفع بالإجمال الذي لا يتيسر لكل واحد أن يستجلي فصوله، ولذلك عمد «أبو فهر» إلى هذا المجمل من كلام «أبي عثمان» يحلله ويستجلي ما كان منه غائماً، نظر في مقالة «الجاحظ» فرأى أنه قد استظهر بموت «زرارة» و«زرارة» ماذكر في الأبيات، وقاس ما بين موت «زرارة» ومولد النبي ﷺ عام الفيل. فحدس أبو فهر أنه لابد أن يكون «زرارة» هذا من الشهرة بمكان، وأن يكون زمان موته لا يخفى، لأنه لايقاس على مجهول.

نظر أبو فهر في أبيات امرئ القيس فرأى أنها قيلت في شأن مقتل حجر وانحياز «هند» أخت امرىء القيس إلى «عوير بن شجنة» الممدوح في الأبيات فأجارها ووفى بما وعد. وإن امرأ القيس وأخته كانا قد انحازا قبل إلى «حميري بن رياح» و«عدس ابن زيد» من آل حنظلة فما أجاراهما فقرحهما في هذه الأبيات. ولعدس هذا ولد كان من حكام تميم في الجاهلية يدعى «زرارة» مات قبل يوم من أيام العرب معروف في الجاهلية: «يوم أوارة الثاني» الذي كان «لعمرو بن هند» على تميم (٢٣) «فزرارة» كان في عصر «عمرو بن هند» و«عمرو بن هند» كان مولد النبي ﷺ لثماني سنين وثمانية أشهر من ملكه، فالجاحظ يقول كم عمر زرارة؟ وكم بين موته ومولد النبي ﷺ؟ فيقول «أبو فهر»: «كان موت زرارة بن عدس قبيل مولد النبي ﷺ، فهذه نحو من خمس وأربعين سنة إلى أن بعث الله رسوله بالإسلام على رأس أربعين سنة من مولده، وزرارة بن عدس قد رأس وقاد تميما، وهو أحد الجرارين، نحواً من أربعين سنة أو أكثر إلى أن أسن ومات، قيل في يوم أوارة الثاني، فهذه نحو من تسعين سنة، وأبوه عدس بن زيد قد ساد من قبله ورأس نحواً من أربعين سنة، فهذه مائة وعشرون إلى مائة وخمسين سنة على الأكثر، فإذا كان «امرؤ القيس» قد ذكر «عدس بن زيد» في شعره، فهذا دليل على حداثة الشعر، ولم كان ذلك؟ لأن «أبا عثمان» قد زعم أن «أول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق إليه هو امرؤ القيس الكندي، وخاله مهلهل بن ربيعة التغلبي، ومادام هذا صحيحا عند «أبي عثمان» فإنه يستظهر بغاية الاستظهار، هكذا يقول: فيضيف خمسين سنة أخرى لما عسى أن يكون صحيحاً من قولهم: إن امرأ القيس كان يتكىء في بعض شعره على من سبقه، كابن حزام الطائي، وأبي دؤاد الإيادي، فهذه مائتا عام بغاية الاستظهار، وإذن، فالشعر حديث الميلاد صغير السن، هذا هو أسلوب «أبي عثمان» في الاستدلال على حداثة «الشعر» عند العرب» (٢٤)

كذلك يبين «أبو فهر» إجمال استدلال «أبي عثمان» بشعر امرىء القيس على حداثة ميلاد الشعر، وهو لا يكتفي بتبيين المجمل من مقالته بل يقوم ما فيها ويبين قدره في الإصابة والمجاوزة.

وإذا ما كان «أبو عثمان» لم يتجاوز في تقدير أن ما بين شعر امرىء القيس وأول الإسلام من سنوات لم تتجاوز المائتين فإن ثَم نقصاً اعترى صنيع «أبي عثمان» في الاستدلال على عمر الشعر، لا في الاستظهار بشعر امرىء القيس على ما بينه وبين أول الإسلام. إن أول ما ينبغي أن يجتهد فيه المرء هو جمع المادة التي هي مناط النظر والمدارسة جمعاً مستوعباً، ثم تصنيف ماجمع، وهذا الجمع عند «أبي فهر» هو أول مقدمات أساس المنهج العلمي، وذلك الأساس يسميه «أبو فهر» ما قبل المنهج وهو عنده شطران: شطر في تناول المادة، وشطر في معالجة التطبيق. وأول مقومات شطر المادة جمعها من مظانها على وجه الاستيعاب المتيسر.(٢٥)

هذا الجمع قد فرط فيه «أبو عثمان» إذ اكتفى بالتقدير الحسابي ما بين شعر امرىء القيس وأول الإسلام «والحساب وحده لا يكاد يغني شيئا في ميلاد الشعر وحداثة سنة» (٢٦) فكان الخلل في أول مقوم من مقومات ما قبل المنهج في صنيع «أبي عثمان» فأداه إلى مالا يسلَّم له.

كان عليه أن يجمع إلى التقدير الحسابي أموراً أخرى، منها مقالات السابقين والمعاصرين وينظر فيها، من ذلك مقالة شيخه «أبي سعيد الأصمعي» (٢١٧ هـ).

«أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً من الشعر مهلهل ثم ذؤيب بن كعب... وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة.

قال: وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير» (٢٧)

ومناط النظر هنا قوله: «وكان بين هؤلاء وبين الإسلام أربعمائة سنة» وقوله: وكان امرؤ القيس بعد هؤلاء بكثير، بغض الطرف عن قول من قال: إن مهلهلاً خال امرىء القيس، فلعل «أبا سعيد الأصمعي» لا يرى ذلك.

كان على «أبي عثمان» أن يجمع إلى مقالته مقالة شيخه، وكذلك مقالة عصريِّه «عمر بن شبة» (١٧٣ ـ ٢٦٣ هـ) التي قالها في كتابه «طبقات الشعراء»:

«إن للشعر والشعراء أولاً لا يوقف عليه، وقد اختلف في ذلك العلماء، وادعت القبائل كل قبيلة لشاعرها أنه الأول، ولم يدعوا ذلك لقائل البيتين والثلاثة، لأنهم لا يسمون ذلك شعراً..» (٢٨).

فالقضية في عصر «أبي عثمان» كانت موضع نظر ومدارسة، مما يجعلها جديرة بأن يتلبث «أبو عثمان» فيها، وأن يجتهد في جمع المادة من قبل أن يستنتج.

وجمع المادة واستيعابها كان يفرض عليه «أن ينظر في شعر امرىء القيس نفسه: كيف جاء موزوناً مقفى على ضروب من الأوزان والقوافي معروفة عنده في شعر مهلهل وابن أخته الذي ورث عنه الشعر..؟ كيف تسنى.. أن يستحدثا هذا القدر من البحور المختلفة الأوزان والقوافي.. كيف يمكن أن يقع لهما هذا القدر من الابتداع جملة على غير مثال سابق؟ (٢٩)

ذلك ما فات «أبا عثمان» جمعه من قبل أن يعمد إلى تمحيص ما جمع تمحيصا دقيقاً، وذلك بتحليل أجزاء ما جمع بدقة وبمهارة وحذر، حتى يتسنى له أن يرى ماهو زيف وما هو صحيح بلا غفلة وبلا هوى وبلا تسرع (٣٠)

لو قدر لأبي عثمان أن ينظر في شعر امرىء القيس، ورأى مابلغة في شرف كمال الصنعة، لأدرك أن مابين امرىء القيس وأولية الشعر أحقاباً متطاولة، فإن سنة الحياة ألا تولد أفاعيل العباد ولاسيما في الفنون كاملة.

ولو أنه نظر ليستنبط من شرف صنعته الشعرية دلائل عمر الشعر كما نظر في بعض مفرداته ليستظهر عمر الشعر لما قطع بالمقدمة التي فرضها واتخذها حقيقة: «أول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق إليه امرؤ القيس، «ذلك لأن هذه الدعوى في أولية امرىء القيس أو غيره هي قبل كل شيء محتاجة في إثباتها إلى دليل مقنع».(٣١)

فهذه الدعوى ثالث خلل كان في منهج «أبي عثمان» في استنباطه عمر الشعر من بعد خلل التفريط في استقصاء جمع مادة النظر، وخلل الغفلة عن مناط تدقيق النظر في شعر امرىء القيس: كماله الفني.

وادعاء الدعوى ثم البناء عليها دونما دليل وبرهان هو عين ما عابه «أبو عثمان» على أستاذه «النظام» حين قال عنه: «عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه، وجودة قياسه على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق بمثله، فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذي قاس عليه أمره على الخلاص، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً» (٣٢) وذلك ما كان من «أبي عثمان» نفسه.

و«أبو فهر» لا يقف عند تحليل مقالة «أبي عثمان» ونقدها بل يعمد إلى تأصيلها وكشف معدنها ومنزعها، وما استحالت إليه في عقل «أبي عثمان».

يذهب «أبو فهر» إلى أنه كان أولاً يظن أن مقالة «أبي عثمان» في أولية الشعر حديث رواه الإمام أحمد بسنده مرفوعا: «امْرُؤ القَيْس صَاحِبُ لواء الشُّعراء إلى النار» وماوراه البخاري في الكنى موقوفاً: «صَاحِبُ لواءِ الشّعرُاء إلى النّار امرؤ القَيس، لأنّه أوَّلُ مَنْ أحكَمَ الشّعْرَ»

وأكد «أبو فهر» أن الخبرين هالكان عند المحققين من أهل العلم بالحديث النبوي، ويذهب إلى أنه قد ظن أن «الجاحظ» ترجم ما جاء في هذا الخبر الهالك «أول من أحكم الشعر» فقال بلسانه «أول من نَهَجَ سبيل الشعر وسَهَّل الطريق إليه» والتشابه ـ كما يقول ـ بين القولين ظاهرٌ بَيِّن.

ويقول: إنه ازداد مع الأيام على أن مقالة «أبي عثمان» اشتقها من هذين الخبرين الهالكين، وأنه لم يسبقه إليها أحد من نقاد الشعر وحفظته (٣٣)

ثم يحدس «أبو فهر» حدساً ويتساءل: أيكون «أبو عثمان» وحده هو الذي نظر في قضية عمر الشعر الجاهلي وهو ليس بالإمام في هذا؟

نظر، فرأى أن معاصراً له هو أقوم بالشعر عامة والجاهلي خاصة تكلم في هذا: أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) صاحب طبقات فحول الشعراء. وابن سلام قد تحدث في هذا، وقال إن أول من قصَّد القصائد وذكر الوقائع مهلهل بن ربيعة وأن القصائد إنما قصِّدت على عهد «عبد المطلب» و«هاشم ابن عبدمناف». وأنه كان امرؤ القيس بعد مهلهل خاله وطرفة وعمرو بن قميئة والمتلمس في عصر واحد وأن امرأ القيس سبق إلى أشياء ابتدعها: قال «ابن سلام» ذلك (٣٤)

لم يقف أبو فهر عند تحليل مقالة «أبي عثمان» ونقدها، بل تعمد تأصيلها وكشف معدنها ومنزعها وما استحالت إليه في عقل أبي عثمان

ولكن كيف اطلع الجاحظ على هذا، وابن سلام لم يقرىء أحداً كتابه حتى مات سنة (٢٣١ هـ).

يؤكد «أبو فهر» أن «الجاحظ» ذكر في كتابه «الحيوان» آراء «لابن سلام» نسبها إليه، وكتابه «الحيوان» من أواخر ما ألف، وهذه النقول مذكورة في كتاب «الطبقات» لابن سلام، مما يدل على أن الجاحظ اطلع على الطبقات. ولكن كيف كان؟

يحدس «أبو فهر» حدساً أن «أبا عثمان» استعار الكتاب بعد موت ابن سلام من بعض أهله، فاطلع عليه، ونقل منه دون أن يشير في هذه القضية لابن سلام، فأبو عثمان آثر أن يستند في صمت مريب إلى «ابن سلام» الذي هو في باب الشعر إمام لا يعطس «أبو عثمان» بغباره، ويغريه بذلك أن «ابن سلام» لم يقرىء الكتاب أحداً، وبقي الكتاب في أهله لا يعرض حتى قرأه «ابن أخت ابن سلام» على الناس بعد دهر طويل من وفاة ابن سلام (٣٥)

فكانت من «أبي عثمان»!! وخرج على الناس بمقالته تلك في «حيوانه» مبهرجاً أنه افترعها، وتلك هي الحالقة التي رجَّت «أبا فهر» رجاً عظيماً.

كأني بأبي فهر يرى في صنيع «أبي عثمان» في القرن الثالث الهجري مع عصريه «ابن سلام» أصلاً لصنيع «طه حسين» في القرن الرابع عشر من الهجرة مع «مرجليوث» وأبو فهر عربي شريف من بيت علم ماجد، لا يغضبه ضلال في رأي يخطىء المرء في ابتداعه، فأهل العلم قادرون على تقويمه، وكل يؤخذ منه ويرد عليه، ولكنه يمقت السطو والتدليس والتزوير، لهذا شدد النكير على صنيع «أبي عثمان».

«أبو فهر» كما ترى حدس حدساً في تأصيل مقالة «أبي عثمان» في أولية الشعر، وتبين مبعثها ومعدنها، والذي يستوجبه المنهج العلمي الذي اتخذه «أبو فهر» من فريضة جمع المادة واستيعابها من قبل تمحيص مفردات ما جمع أن يقوم «أبو فهر» نفسه بهذا، فهل استوعب «أبو فهر» مقالات العلماء السابقين والمعاصرين لأبي عثمان وابن سلام في شأن امرىء القيس، وأنه أول من أحكم الشعر، أو أول من قصد القصيد، أو أول من نهج سبيل الشعر، فلم يجد لذلك قائلا أسبق ولا أعلى مقاماً من ابن سلام، فيكون «أبو عبدالله الجمحي» هو الذي افترعها، و«أبو عثمان» استلبها منه؟

لا أقدِّر أن «أبا فهر» قد استوعب، فقد ذكرت من قبل مقالة منسوبة لأبي سعيد الأصمعي «٢١٧ هـ» فيها شيء من هذا، والأصمعي شيخ لابن سلام والجاحظ معاً، وذكرت مقالة عصريّ لابن سلام والجاحظ «عمر بن شبة النميري (١٧٣ - ٢٦٣ هـ) فيها أيضا شيء من ذلك، فما الذي منع أن يكون «الجاحظ» مطلعا على مقالة شيخه «الأصمعي» وعصريه «ابن شبة» أيضا، بل ما الذي منع أن يكون «ابن سلام» نفسه اطلع على مقالة شيخه «الأصمعي»؟ أضف إلى هذا أن وفيراً عظيماً من أسفار السلف قد حرمنا معرفته لفقده، فمن أين لنا أن «أبا عثمان» ما استلب مقالته إلا من «ابن سلام»؟!

أليس مثل ذلك كان أولى أن يضاف إلى حدس «أبي فهر» تحقيقاً لمقوم استيعاب جمع المادة قبل فحصها؟

وإذا ما كان «أبو فهر» قد حدس أن مقالة «أبي عثمان» معدنها الخبر الهالك ومقالة «ابن سلام» فإنه ليتقدم إلى ما بعد ذلك: عمد إلى تصوير مآل مقالة «ابن سلام» المستلبة في عقل ولسان «أبي عثمان» يقول «أبو فهر» ماخلاصته:

لما قرأ «أبو عثمان» مقالة «ابن سلام» في أول كتابه أعجبته، وهزته وذكرته بالخبر الهالك، بدا له أن يحيلها إلى غير ما هي عليه من قبل، فاجتهد، فصاغ قضيته الأولى: أول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق إليه امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة غير عابىء بما بين الذي ضاع والذي كان من قبل: «أول من قصد القصيد» و«أول من أحكم الشعر» فكانت المفارقة في مناط الحكم بالأولية:

الخبر الهالك أولية إحكام الشعر، وابن سلام أولية تقصيد القصائد ولكن أبا عثمان جعل ذلك أولية الشعر، فنقل الأولية من معنى خاص محدود: تقصيد القصيد وتطويلها، إلى عام مطلق هو الشعر نفسه (٣٥)

وتلك مجاوزة في أصول العلم والنظر والتذوق، ليس لها مقتض ولا مستند، فهي نقيصة في النظر تضاف إلى نقيصة التفريط في جمع المادة واستيعابها ونقيصة تخيل ما فرض وزعم حقيقة قائمة مسلمة يبنى عليها.

ولم يكتف «أبو عثمان» بهذا بل ساقه العجب والثقة إلى أن «يزداد سبقاً في الاستخراج والاستنباط، فزاغ زيغة منكرة مفرطة الغرابة فأعاد صياغة القضية صياغة جديدة يلقيها مسلمة لاتحتاج إلى برهان، فقال: «أما الشعر فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس ومهلهل بن ربيعة»

صدر المقالة مشتق من مقالة «ابن سلام».. ولكن «أبا عثمان» بهرته صياغته.. فزاغ زيغة.. فابتغى أن يحدد ميلاد الشعر تحديداً لا يختلف عليه، فطلبه في شعر امرىء القيس.. وانتقال «أبي عثمان» في الاستدلال بالشعر الذي فيه ذكر «عدس» دون أن يعنيه أو يريده، ثم إلقاؤه اسم «زرارة» غفلاً بعقب ذلك

مباشرة دون أن يشير إلى أنه «زرارة بن عدس» واطراحه ذكر يوم أوارة الثاني.. هذا الانتقال المفاجيء وسياق عبارته في الأمر والاستفهام وتفويض الأمر كله إلى سامعه أو قارئه غاية في الإدلال والتشامخ ليس بعدها غاية كما يقول أبو فهر.(٣٥)

كذلك يستبين «أبو فهر» حركة مقالة «ابن سلام» والخبر الهالك في عقل «أبي عثمان» ثم على لسانه، وأبو فهر إذ يصنع ماصنع من نقد «أبي عثمان» نقداً تفسيريا وتقويميا لا يحمله على ذلك انتقاص «أبي عثمان» وإعلاء «أبي عبدالله الجمحي» وإنما صنيعه ذلك اقتضاه أولاً: وفاء حق منهج التذوق الذي اعتنق أبو فهر في كل ما يقرأ.

وثانيا: إحقاق الحق الذي هو فوق كل امرىء، وإن كان «أبا عثمان الجاحظ».

وثالثاً: تعليم طلاب العلم ألا يحملهم العجب والثقة وحب إحراز السبق على مثل ما حمل «أبا عثمان» من مجاوزة أصول النظر والاستدلال.

ورابعاً: تعليم طلاب العلم أن يقيموا منهج التذوق والتحليل في كل كلام يقومون لقراءته قراءة أهل العلم دون إفراط الثقة بقائله إفراطاً يمنع حسن النظر.

●●●

من الذي مضى يتجلى لنا أن «أبا فهر» بنى تذوقه مقالة «أبي عثمان»: «وأما الشعر فحديث الميلاد.. إلخ» على أن «أل» في كلمة الشعر في قوله «الشعر حديث الميلاد» وقوله «ويدل على حداثة الشعر إنما هي دالة على استغراق أفراد جنس الشعر، وأن أبا عثمان إنما يتحدث عن مطلق الشعر، وليس على نوع معين منه في لسان العرب، هو الذي قصدت قصائده، أو الذي بلغنا خبره ونصه.

وأن «أبا عثمان» بهذا فارق «ابن سلام» الذي تحدث عن تقصيد القصائد. وأبو فهر نفسه يذهب إلى أنه إن قلنا إن امرأ القيس وخاله المهلهل من أقدم شعراء الجاهلية الذين انتهى إلينا شعرهم، وأن أكثر الذي انتهى إلينا من سائر قديم شعر الجاهلية لا يكاد يتجاوز عمره مائتي عام يوشك هذا القول أن يكون حقاً لا ريب فيه ـ كما يقول أبو فهر ـ ولكن يحسن عنده أن تقيد هذه القضية بقيد لابد منه، احترازاً من التعميم الغامض، هو أننا نعني القصائد الطوال، دون ما نسميه المقطعات أو الأبيات ذوات العدد التي بلغتنا من قديم شعر الجاهلية (٣٦) هذا ما يسلم به «أبو فهر» وهو لا يراه القائم في مقالة «أبي عثمان» ولو أنه رآه فيها لما عرض لها على النحو الذي بينت، فأبو عثمان عنده ذاهب إلى أن امرأ القيس أول من نهج سبيل مطلق الشعر أبياتا ومقطعات وقصائد، وأن الشعر مطلقه حديث الميلاد.

و«أبو فهر» إذا سلم أن امرأ القيس وخاله من أقدم من بلغنا شعرهم، فإنه لا يسلم لابن سلام أن القصائد قصدت على عهد «عبدالمطلب» بل الشعر عنده أقدم مما يزعم «ابن سلام» وطويله أعتق مما يتوهم (٣٧)

إذا تذوقنا موقف أبي فهر رأينا أنه كان من أساس منهجه أن يضم إلى مقالة «أبي عثمان» التي تذوقها «أما الشعر فحديث الميلاد» مقالة له أخرى في كتابه الحيوان يقول فيها «وقد قيل الشاعر قبل الإسلام في مقدار من الدهر أطول مما بيننا اليوم وبين أول الإسلام وأولئكم عندكم أشعر ممن كان بعدهم» (٣٨) والذي بين «أبي عثمان» وأول الإسلام قرنان ونصف قرن وفي أول الحيوان قال أقصاه مائتا عام، فكان فريضة أن يتذوق «أبو فهر» هذا مع تذوقه «المقالة الأولى» هذا شيء، وشيء آخر قائم في إشارة «أبي عثمان» إلى بيت امرىء القيس الذي ذكر فيه ابن حمام:

عُوجَا على الطَّلَل القَديم لَعَلَّنا
نَبْكي الديَارَ كَما بَكى ابنُ حمَام

وعلق قائلا: «ويزعمون أنه أول من بكى في الديار (٣٩) فهذا دال على أنه لا يرى أن امرأ القيس هو أول من قال الشعر، مما يقضي أن يكون قوله (أول من نهج سبيل الشعر وسهل السبيل إليه) يحتمل معنى تقصيد القصيد وتطويله، وليس مجرد ابتداع القول فيه على أي قدر.

وإذا كان الاحتكام إلى سياق الكلام من أصول منهج التذوق والتحليل، فإن تدقيق النظر في حركة سياق كلام «أبي عثمان» من أول كتابه «الحيوان» يهدي إلى أنه من بعد أن أنهى خطاب الذي عاب كتبه قال (ص ٢٥ ج١):

«فهلا أمسكت ـ يرحمك الله ـ عن عيبها والطعن عليها وعن المشورة والموعظة وعن تخويف ما في سوء العاقبة إلى أن تبلغ حال العلماء ومراتب الأكفاء؟!

فأما كتابنا هذا، فسنذكر جملة المذاهب فيه وسنأتي بعد ذلك على التفسير، ولعل رأيك عند ذلك أن يتحول، وقولك أن يتبدل، فتثبت أو تكون قد أخذت من التوقف بنصيب إن شاء الله.

وأقول: إن العالم بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء.. الخ.

واستمر فى الحديث عن أقسام الكائنات، ووسائل البيان، ومنزلة الكتاب، وقدره، وأن الاجتماع ضرورة، وأنه يحتاج إلى البيان، وتحدث عن الكتابة وأدواتها، وفضل الكتاب وأنواع الخطوط، وعلاقة الخط بالحضارة، ومسالك الأمم في تخليد مآثرها من بنيان وغيره. فذكر للعجم القصور والحصون، وأن العرب خلدت مآثرها بالشعر. فالسياق إذن سياق حديث عما تخلد به الأمم حضارتها: البنيان والشعر.. ومن البين أن تخليد المآثر بالبنيان لن يكون بمطلق بنيان، بل ببنيان يبلغ فيه الباني شرف الصنعة المبهرة كما في القصور والحصون، والأمر كمثله في الشعر، لن تخلد العرب مآثرها في مجرد الشعر بيت أو

من أصول منهج التذوق والتحليل

أبيات قليلة إنما التخليد بالقصائد وبما اكتملت فيه الصنعة الشعرية، فالحديث إذن حديث عن الشعر المخلد مآثر العرب، وهو لن يكون إلا قصائد قد اكتمل بناؤها، فإذا قال «أبو عثمان» في هذا السياق: وأما الشعر فحديث الميلاد.. إلخ، فوجه المعنى أن يكون: وأما الشعر الذي اتخذه العرب مخلدا مآثرهم فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيل هذا الشعر المخلد مآثر العرب وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر.

وهذا الشعر المخلد مآثر العرب ليس إلا ما كان قصيداً، فأبو عثمان على هذا لا يتحدث عن ميلاد شعر مطلق شعر، بل عن شعر مقصد مكتمل البناء الفني، قادر على تخليد مآثر العرب.

يقوي هذا أن «الجاحظ» لا يطلق على أي قول موزون مقفى ذي معنى وصف الشعر، وما قاله، معلقاً على البيتين اللذين استحسنهما «أبو عمرو الشيباني» دال على ذلك دلالة ظاهرة محكمة، وقد أشرت إليهما من قبل. فليس الشأن عنده في مجرد المعنى والوزن والقافية «إنما الشأن فى إقامة الوزن - وهي كلمة جد نبيلة - وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» (٤٠).

هذا هو الشعر الذي يتحدث عنه «أبو عثمان»: عن ميلاده، لأنه هو الشعر الذي اتخذه العرب مخلداً لمآثرهم كما يقضي به سياق كلامه.

وعلى هذا تكون مقالة «الجاحظ» على هذا النحو:

وأما الشعر الكامل الصنعة، والمقصّد، الذي هو الشعر، والذي اتخذه العرب مخلداً لمآثرهم، فحديث الميلاد صغير السن، لأن أول من نهج سبيل هذا الشعر الكامل المقصد المخلد مآثر العرب امرؤ القيس، ومابين شعر امرىء القيس الكامل المقصد.. وأول الإسلام لا يتجاوز مائتي عام..

ذلك مآل المعنى في مقالة «أبي عثمان الجاحظ»

وذلك مآل تذوق «أبي فهر» تلك المقالة. ا . هـ.

الهوامش والمراجع:

□ د.محمود توفيق محمد سعد: أستاذ ورئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر، بشبين الكوم.. من آثاره:دلالة الألفاظ عند الأصوليين، سبل الإستنباط من الكتاب والسنة، صور الأمر والنهي في الذكر الحكيم، فقه بيان النبوة منهجاً وحركة، فقه تغيير المنكر، تغييب الإسلام الحق، الإغريض في الفرق بين الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض.

(١) طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٨ ت: شاكر.
(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٣١ ت: هارون وانظر معه: البيان والتبين ٤/٢٤.
(٣) الموشح للمرزباني ص ١٤٢ - ١٤٣.
(٤) مجلة العرب ج ٥ و٦ س ١٠ ص ٣٤٨: نص محاضرة الشعر الجاهلي لأبي فهر في جامعة الإمام بالرياض.
(٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ٣١٤ - ٣١٥.
(٦) الحيوان ج ٣ ص ١٢٧.
(٧) ينظر: دلائل الإعجاز ص ٦٤ ت: شاكر.
(٨) السابق ص ٨٧.
(٩) السابق ص ٥٤.
(١٠) السابق ص ٤٣.
(١١) بدايات الشعر العربي بين الكم والكيف للدكتور محمد عوني ص ١.
(١٢) المزهر للسيوطى ٣٠١/١.
(١٣) مسند أحمد ٣٨١/٢، الموطأ: ماجاء في حسن الخلق: حديث رقم ١٧٤٢
(١٤) شرح الزرقاني على الموطأ ٢٥٦/٤، وانظر تاريخ العالم الإسلامي لمحمود زيادة ج ١ ص ١٤١ - ١٤٤.
(١٥) الحيوان ٧١/١ - ٧٢.
(١٦) طبقات فحول الشعراء ٢٤/١.
(١٧) نمط صعب ونمط مخيف ص ١٧٠ طبعة المدني سنة ١٤١٦ هـ
(١٨) الحيوان ٧٤/١، وانظر معه مجلة العرب ج ٥ و٦ سنة ١٠ ص ٣٢٣.
(١٩) تاريخ آداب العرب للرافعي ٢٠/٢، الشعر الجاهلي لشوقي ضيف ص ٣٨، الشعر الجاهلي لمحمد أبو الأنوار ص ١٦، الشعر الجاهلي لإبراهيم عبدالرحمن ص ٢٦٣.
(٢٠) أباطيل وأسمار ص ١٣٤، وانظر معه مجلة العرب: العدد السابق ص ٣٦٨ - ٣٦٩.
(٢١) مجلة العرب ج ٥ و٦ سنة ١٠ ص ٣٣٣.
(٢٢) السابق ص ٣٤٧.
(٢٣) انظر أيام العرب في الجاهلية ص ١٠٠ - ١٠٦ لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه.
(٢٤) مجلة العرب، ج ٥ و٦ س ١٠ ص ٣٢٤ - ٣٢٥.
(٢٥) أباطيل وأسمار ص ٢٤.
(٢٦) مجلة العرب، العدد السابق ص ٣٢٥.
(٢٧) مجالس ثعلب ٤١١/٢ - ٤١٢ ت: هارون.
(٢٨) المزهر ٢٩٦/٢ (ط/ صبيح بالقاهرة).
(٢٩) مجلة العرب، العدد السابق ص ٣٢٥.
(٣٠) أباطيل وأسمار ص ٢٤ - ٢٥.
(٣١) مجلة العرب، العدد السابق ص ٣٢٥.
(٣٢) الحيوان ٢٢٩/٢ - ٢٣٠.
(٣٣) مجلة العرب، العدد السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
(٣٤) طبقات فحول الشعراء ٤١،٣٩،٢٦/١ وانظر مجلة العرب العدد السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٠.
(٣٥) مجلة العرب، الموضع السابق.
(٣٦) السابق ص ٣١٦.
(٣٧) طبقات فحول الشعراء ٢٦/١ هامش رقم (٤).
(٣٨) الحيوان ٢٧٧/٦.
(٣٩) السابق ١٣٩/٢ - ١٤٠.
(٤٠) السابق ١٣١/٣.

□□□